

المنافسة القومية». وفي مقابل هذه الصورة الفلسطينية، قدم الكاتب الصهيونيين اليهود على انهم «ضمير الحضارة الانسانية»<sup>(٢٤)</sup>.

وبأسلوب مفعم بالطوباوية والابتذال، يصور كاتب صهيوني آخر الفلسطيني كـ «جبان» في مقابل اليهودي «الشجاع». ففي أحد الرويات الصهيونية، يذكر المؤلف على لسان إحدى الشخصيات (عن أحداث ١٩٤٨) انه «... إذا خرج عربي من قهوته وأطلق طلقة طائشة على كيبوتس من بعد ألف ياردة، يعتقد بأنه رجل شجاع، ولذلك يتمشى اليهود في نزهات، فيرون القرى العربية مهجورة». وفي موقع آخر، يذكر المؤلف: «... بوسع اليهودي، مسلحاً بكرباج فقط، ان يقتحم مضرب قبيلة عربية بدوية، جميع رجالها مسلحون بالبنادق، ويجلد رئيسها امام عيون الجميع، ويجبره على طلب الرحمة، ويؤدب، بذلك، كل القبيلة دون ان ترمش له عين»<sup>(٢٥)</sup>. وبالطبع، بوسع المرء ان يفترض مدى تمكن «عقدة الاسقاط» في مثل هذه الصور؛ فهي، بحق، صور مقلوبة وتمثل محاولة جادة لتخليص صورة اليهودي مما علق بها من مظاهر، كالجبين والتردد. ولو أخذنا في الاعتبار تلك الدراسات التي اثبتت ان الصورة الاسرائيلية ان هي الا استمرار للصورة اليهودية في الغرب<sup>(٢٦)</sup>، لأضحى من السهل بلوغ النتيجة السابقة؛ اذ ان تنقية الصورة الاسرائيلية ترمي الى تنقية الصورة اليهودية، ومن المفيد جداً، بالنسبة اليهم، ان يتم الصاق السمات السلبية المعروفة عن الشخصيات اليهودية بالصورة الفلسطينية !

كانت الصهيونية بالغة الحنكة في تعاملها مع الفلسطينيين (السكان الاصليين، كما يسميهم الفكر الاستيطاني) في الطور الاول لمشروعها الاستيطاني. فقد تدرجت في العملية الدعائية الخاصة بسكان فلسطين وبقيت ملاحقتها للاحداث في العالم الغربي من الامور الهامة.

في المرحلة الاولى، ومنذ العام ١٨٩٧، أو قبل الحرب العالمية الاولى عموماً، فضّلت الصهيونية معالجة الشعب الفلسطيني على أساس «انه لم يكن هناك احد في فلسطين». ولذلك، نجد ان الإشارة الى السكان الاصليين كانت قليلة جداً في تلك المرحلة<sup>(٢٧)</sup>. تتأكد لدينا هذه الملاحظة من التجاهل التام للفلسطينيين في كل من وعد بلفور وصك الانتداب. وهما وثيقتان غربيتان، لم تذكر أي منهما الفلسطينيين بكلمة واحدة.

وقد كتب المفكر اليهودي، موشي سميلا نسكي، في صحيفة «العالم»، بتاريخ ٢٩/١/١٩١٤: «ان دعاية الفكرة الصهيونية، منذ نشأتها، صوّرت البلاد التي نتوجه اليها كبلاد خربة، ومهجورة، تنتظر الخلاص بفارغ الصبر»<sup>(٢٨)</sup>.

وبعد ان تم التأكيد من وجود شعب، وزرع، وضرع، على أرض فلسطين، كما ذكر احاد هعام، وهو من اوائل الكتاب الصهيونيين الذين زاروا فلسطين، لجأت الصهيونية الى التمهيد لاستخدام القوة لطرد الفلسطينيين بتصوير الفلسطيني على انه «يحترم ويعرف لغة واحدة، هي لغة القوة»<sup>(٢٩)</sup>.

وعندما بدأت مقاومة الشعب الفلسطيني للغزوة الصهيونية، طرحت الصهيونية، من جانبها، مفهوماً مبتكراً وخاصاً للأرض عند الفلسطيني. فذكرت ادبياتها في الغرب انه «بما ان العربي يفتقر الى الروابط القوية بالأرض (لأنه بدوي متنقل!)، فانه يفتقر الى الروابط القوية بالوطن، ولهذا يتنازل عنها راضياً مرضياً». وروجت لصورة الفلسطيني «المتخلف الذي لا يستحق هذه الأرض (الوطن) ولا يفهم سوى لغة القوة»<sup>(٣٠)</sup>.

وفي كل مرحلة من مراحل المقاومة الفلسطينية، كانت النعوت الصهيونية حاضرة. في العشرينات،